الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي (أحمد جري)..
القائد الصومالي الكبير (1506م / 912 هـ - 1543م / 949 هـ)

د. هارون جمبا

محاضر في كلية الدراسات الإنسانية والاجتماعية
وكلية التربية - جامعة ماكيريري - كمبالا أوغندا

تُعَدُّ قارة إفريقيا، وبخاصّة القرن الإفريقي منها، ولا سيما الحبشة، ومنها الصومال القديم والحديث، الوجهة الأولى لهجرة المسلمين الأولى بأمرٍ من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في مهد الرسالة المحمّدية، وذلك لِمَا عرف من خُلُق الملوك الذين حكموا هذه البلاد.

وعليه؛ تُعَدُّ إفريقيا تاريخيّاً مهد الحضارة الإسلامية المكمّلة للحضارة الإسلامية التي انطلقت مع البعثة المحمّدية في تلك الفترة من الزمان، بالإضافة إلى طبيعة الأحوال الجغرافية التي تمتعت بها هذه المنطقة.

وهذه الحضارة الإسلامية لم تقم إلا على أيدي وأكتاف رجالٍ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فكان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب. ونستذكر معاً- في هذه الصفحات- شخصيةً فذّة، قاد الجهاد الإسلامي في منطقة شرق إفريقيا، وهو القائد المجاهد الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي، المشهور بأحمد جري، الذي هزّ عرش الإمبراطورية الحبشية، وترك بصمات على هذه المنطقة كلّها، والتي لا تزال تغيظ أعداء الإسلام حتى عصرنا الحاضر.

ويتناول هذا البحث: شخصية الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي، ونشأته، ودولته، وجهاده، وإصلاحاته وتأثيره في المجتمع الإسلامي محليّاً وإقليميّاً.

شخصية الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي:

ينتسب القائد الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي إلى قبيلة صومالية تُسمّى قبيلة «المريحان الدارودية»، وقد حقّق ورجّح جذور اسمه الكاتب الصومالي الشابّ

«علي شيخ آدم يوسف»، حيث رجح أنّ الإمام أحمد هو ابن عم للأمير «نور بن مجاهد المريحاني» الذي تزوج أرملته (أرملة الإمام أحمد جري) بعد استشهاده في جهاده ضدّ الأحباش المتعاونين مع البرتغاليّين في القضاء على الإسلام في هذه المنطقة. ويؤكد الكاتب عليّ شيخ: أنّ نسب الإمام أحمد جري هو: أحمد جري بن إبراهيم بن هرابي بن متان بن عيسى بن أحمد بن مالك محمد داؤود (ملك قبائل الدارود المريحاني)[١].

وأثبت أكثر المؤرخين: أنّ الإمام أحمد بن إبراهيم، الذي اشتهر باسم «أحمد جري» (جري: تعني الأعسر في اللغة الصومالية، أو جري أو جران)، من مواليد إقليم «حوبات»، من أسرة صومالية؛ عمل أفرادها جنوداً في جيش أمير هرر في دولة عدل[٢].

ويقول آخرون بأنه من قبيلة حدبورسي (سمرون) قرب زيلع، وهي مدينة ساحلية تقع في شمال غرب الصومال، وكانت سابقاً جزءاً من سلطنة عدل[٣].

ويقول آخرون بأن ميلاد الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي كان في مدينة «هوبت» التي تقع على مقربة من «هرر»، فهي مسقط رأسه، وهي مدينة تاريخية أنشأها المسلمون في أواخر القرن الأول الهجري، وكانت إحدى الولايات المهمّة التي تتكون منها إمارة عدل الإسلامية، والتي اعتبرت أهمّ مراكز العلم

(١) علي شيخ آدم يوسف: تحقيق نسب الإمام أحمد الغازي وتجاهل المؤرخين، موقع: مركز مقديشو للدراسات، الرابط: http://mogadishucentre.com ٢٠١٦/٢/٨م. وهناك رأي آخر للمؤرخين في العلاقة بين الإمام أحمد والأمير نور، وهو: أن الأمير نور بن مجاهد هو ابن أخت الإمام أحمد غري، وقيل إنه أخوه الشقيق.

(٢) موقع التاريخ الإسلامي: القائد الإسلامي أحمد بن إبراهيم الغازي- معركة زنطرا Zantra، الرابط: http://www.islamstory.info/2016/zantra.html.

(٣) أحمد بن إبراهيم الغازي- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/.

قام الإمام أحمد الغازي بإنهاء التهديد الحبشي على الشعوب الإسلامية، حيث امتدت فتوحاته حتى وصل إلى البحيرات العظمى

والإشعاع الإسلامي في شرق إفريقيا[٤].

ولو أنّ بعض الكتاب الغربيّين يصرون على أنّ سلالة الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي ما زالت غامضة، وذلك لأنّ كتاب (فتوح الحبشة)، وهو أصدق مرجع تاريخي عنه[٥]، لم يذكر شيئاً عن أصول الإمام الصومالية. ولكن من الجليّ القول بأن له صلات عديدة بالشعب الصومالي، حيث إنّ المؤرخ «كريستوفر موث» أكّد أصول الإمام أحمد الغازي الصومالية، ويقول «فرانز كريستوفا» بأنّ الإمام أحمد كان يُذكر بأنه من أصول عربية في إثيوبيا[٦]، ومع ذلك هناك عدة أدلة في كتاب (فتوح الحبشة) تشير

(٤) أحمد الظرافي: الإمام غري الصومالي.. فاتح الحبشة، مجلة البيان العدد ٣٣٣، جمادى الأولى ١٤٣٦هـ/فبراير- مارس ٢٠١٥م، ص٣. انظر أيضاً: Ethiopia.net/?p=500 monthly Archives: July2017

(٥) (بهجة الزمان) أو (فتوح الحبشة): لمؤلفه شهاب الدّين أحمد بن عبدالقادر الجيزاني الملقب بـ«عرب فقيه»، المتوفى بعد سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٣م- رحمه الله-، يعدّ هذا الكتاب نادرة تاريخية؛ لكون المؤلف معاصراً لتلك الأحداث، وقد طبع هذا الكتاب عام ١٩٧٤م، ونشرته الهيئة المصرية العامّة للكتاب، بتحقيق: فهيم محمد شلتوت.

(٦) Franz-Christoph Muth، «Ahmad b. Ibrahim al-Gazi» in Siegbert Herausgegeben von Uhlig (ed.)، Encyclopaedia Aethiopica: A-C (Wiesbaden:Harrassowitz Verlag، 2003، ISBN 9783447047463)، p.155.

إلى حقيقة أصوله الصومالية، فعدد من أقارب الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي يمكن التعرف عليهم في هذا الكتاب، فقد ذكر المؤلف اسم أخته «مؤنسة»، التي كانت متزوجة من «الجراد كامل» زعيم إحدى القبائل الصومالية، وشقيقه «محمد بن إبراهيم» الذي كان زعيماً لإحدى قبائل شيوا وهارجايا، وابن عمّه «محمد بن علي» الذي كان سلطاناً لقبيلة زاربا الصومالية، وابن عمّه الأمير «زيهربوي»، وكذلك أخوه الأمير «نور بن إبراهيم» الذي تزوج أرملته بعد استشهاده- رحمه الله رحمة واسعة-[١].

ويذكر كتاب (فتوح الحبشة)- أيضاً- أحداً باسم «إبراهيم بن أحمد» حاكم سلطنة «عدل» لمدة ثلاثة أشهر، مما يوحي بأنه هو والد الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي، و«إبراهيم» هذا يوصف بأنه زعيم أحد قبائل بيليو، وكان حاكماً سابقاً لبلدة هوبت[٢].

وهناك العديد من المقاطع في هذا الكتاب (فتوح الحبشة) تذكر أنّ الإمام أحمد والشعب الصومالي كانوا في تلاحم شديد؛ على الرغم من عدم ذكره لأصوله العِرْقِية، ولو أنه يمكن للمرء أن يستخدم كتاب (فتوح الحبشة) والادعاء بأنّ الإمام أحمد لم يكن صوماليّاً[٣].

وتذكر مصادر أخرى: أنّ أحمد بن إبراهيم الغازي وُلد بالقرب من مدينة «زيلع»، وهي ميناء يقع في شمال غرب الصومال (كانت في ذلك الوقت جزءاً من عدل، رافد دولة مسلمة للسلالة السليمانية الإثيوبية المسيحية) وتزوج من «باتي ديل وامبارا» (دولنبره) ابنة «محفوظ» حاكم «زيلع»[٤].

وذكر مؤرخون آخرون أنّ الإمام أحمد بن إبراهيم وُلد سنة ١٥٠٦م على بعد ٣٠كم من «هرر»، مما يؤكد سلالته الصومالية وانتسابه إلى هرر أو هرريس. ولقب «جري» صومالي الأصل، وفي الحبشة أو الأمهرية «جريـن»، وكلّها كلمات بأصول صومالية بمعنى: (الأيسر)، وليس هناك ذكر لأصول عربية إلا الاسم «أحمد بن إبراهيم» الذي له أصول إسلامية من أجداد مسلمين صوماليّين[٥].

وعلى الرغم من ذلك كله؛ فقد وصل الجدال حول أصوله الدينية إلى الزعم بأنّ الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي اشتهر باسم «أحمد جران، أو غران» الذي اختاره لنفسه بعد أن أسلم، حيث كان ابناً لقسيس في مقاطعة أيجو بالحبشة بعد أن اتصل بالمسلمين وسمع بعض دعاتهم في مقاطعة عدل، فدخل الإسلام مقتنعاً به متحمساً لدعوته، وهذا القول منقول عن المستشرق توماس أرنولد (أنّ أحمد جري روى ذلك عن نفسه) (وتبعه في هذا الادعاء: ليلى الصباغ: أحمد غران، الموسوعة العربية)[٦]، ولكن الكاتب الصومالي «علي شيخ آدم موسى»، ومصادر إسلامية، كلّها تؤكد أنّ كلام المستشرق توماس لا يستند إلى دليل، وكان يهدف إلى تشويه نسب الإمام، ونفي انتسابه إلى القبائل الصومالية، وذلك لكراهيته (أي توماس) للدّين الإسلامي[٧].

---

(١) بهجة الزمان، أو فتوح الحبشة، ص٤٤. مع الأخذ في الحسبان الاختلاف بين المؤرخين في صلة القرابة بين الإمام أحمد غري والأمير نور- كما سبق-.

(٢) بهجة الزمان، أو فتوح الحبشة، ص١٤، Edited by: S. Arthur Strong، Williams And Norgate، Part I، London، Edinburgh، 1894.

(٣) Ewad Wagner، «`Adal،» in Encyclopedia Ethiopia: A-C،retrived February 19، 2016 p.71.

(٤) Ahmad ibn Ibrihim al-Ghazi، newworldencylopedia.org.

(٥) Ahmad ibn Ibrihim al-Ghazi، The Conquerer، http://www.revolvy.com/main.php?s=Ahmad-Ibrahim.
وكذلك: Ahmad Gran، Somali Leader، http://www.britanica.com/biography/Ahmad-Gran، 23 April، 2008.

(٦) http://www.marefa.org. Somalia: From the Dawn of Civilization to the Modern Times، Ch.8، (43-Somali Hero-Ahmad Gurey (1506.

(٧) علي شيخ آدم يوسف، مرجع سابق.

وتبقى الحقيقة: أنّ الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي صوماليّ الأصل؛ بعد أن ثبت لجوؤه للعيش مع الصوماليّين، بعد سوء التفاهم بينه وبين السلطان عمر حول الزكاة.

أما ألقاب الإمام أحمد جري وأوصافه؛ فقد وصفه الكاتب شهاب الدّين في كتابه (فتوح الحبشة): أنه «أمير المؤمنين السلطان الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي المجاهد المرابط». أما لقب «الغازي»؛ فقد استُخدم كوسام، ويُطلق على الجنود المسلمين الذين يحملون همّ الدعوة لنشر العقيدة الإسلامية في ذلك الوقت، وهي الغزو (غزا- يغزو)، وهي كلمة عربية. واشتهر الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي- أيضاً- باسم «صاحب الفتح» أو «الفاتح».

نشأته:

يتفق كثيرٌ من المؤرخين على أنّ الإمام أحمد جري بدأ حياته في خضم سلطنة عدل المكتظة بأعراق متعددة، كالصومالية والحبشية والعربية والإفريقية وقلّة من الأتراك، ومما اكتسبه وسط هذه الأعراق المتعددة الاطلاع على مختلف التقاليد والأعراف، وكذلك الانخراط في أجواء مليئة بالصراعات على السلطة بين الطبقة الأرستقراطية الإسلامية التقليدية، التي تمثّلها فئة التجار التي كانت تدعو إلى دعم السلام مع الحبشة، وبين الفئة العسكرية من الصوماليّين المسلمين، التي كانت تسعى إلى التخلُّص من التبعية الحبشية عن طريق الجهاد والتوسع في أرض الحبشة[١].

ترعرع الإمام أحمد جري، وهو في قمّة الشباب والحيوية والحماس، في هذه البيئة الاجتماعية المختلطة، ووسط الأحداث الجسام التي كانت تمرّ بالأمّة الإسلامية في هذه المنطقة من القرن الإفريقي، في الوقت الذي اشتدت فيها سواعد الأحباش النصارى على المسلمين، وقُدّر له الاشتراك في تلك المعارك المحتدمة ضدّ المسلمين آنذاك[٢].

وقد ركز «فقيه العرب»، صاحب كتاب (فتوح الحبشة) شهاب الدّين أحمد بن عبدالقادر، على الغارات والمعارك الجهادية التي خاضها الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي ضدّ الأحباش، فليس في هذا الكتاب ذكرٌ أو حتى إشارة إلى الحياة الخاصّة له في نشأته، وذلك ربما لأنّ المؤلف لم ير أهميةً لإيراد أخبارٍ عن نشأة الإمام، أو لأنّه رأى أنّ قرّاء كتابه لم يكن لهم حاجة في مثل هذا التاريخ المعلوم لديهم[٣].

اكتسب أحمد جري في هذه الظروف خبرةً بالحياة الجهادية والقدرات العسكرية في سنٍّ مبكّر من عمره، حيث لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة عاماً، بل يقال إنه حضر المعركة التي استُشهد فيها الأمير محفوظ حاكم هرر عام ١٥١٧م، كما حقّق نصراً حاسماً على الأحباش في معركة «أديس أو كبوت» عام ١٥٢٧م، والتي اعتُبرت معركةً فاصلة، انتقم فيها لمقتل الأمير محفوظ، فتزوج من «دِبِل مَعْبره» (دولنبره) ابنة الأمير محفوظ مكافأةً له على نصره، فضمن عرش هرر وولاء الطبقة العسكرية الصومالية له وعمره ٢١ عاماً فقط، حيث كان فارساً وذا عقل ورأي وشورى في صغره[٤].

وقد قضى الإمام أحمد بن إبراهيم جري أطول وقتٍ من طفولته في مدينة هرر، لكنه بنزعته الإسلامية هاجر منها إلى مدينة «هوبت»؛ بسبب الحكم غير الإسلامي الذي ساد هرر في فترة حكم السلطان أبوبكر بن محمد. وقد جعل الإمام أحمد كثيراً من قبائل أورومو الرعوية يعتنقون الإسلام، وساعدته الإقامة في مدينة هوبت القريبة من مدينة

(١) أحمد غران- الموسوعة العربية.

(٢) أحمد الظرافي، مرجع سابق، ص٣.

(٣) انظر: تعليق S.Arthur Strong على كتاب فتوح الحبشة ص٦٩. William And Norgate، 14 Hurietta Street، Cpvet Garden، London، Edinburgh، 1894.

(٤) فتوح الحبشة، مرجع سابق، ص١٦.

هـــرر، وكانت من مراكز العلم الإســـلامي بالمنطقة، على أن يتزود بثقافة دينية غزيرة، وأن ينال قســـطاً من العلم والفقه على مذهب الإمام الشافعي المنتشر في شرق إفريقيا[١].

دولته: سلطنة عَدَل (١٤١٥م/١٥٧٧م):

«ســـلطنة عَدَل»: دولة مســـلمة متعددة الأعراق، نشأت في القرون الوسطى، في القرن الإفريقي، وقد ذُكر اســـم «عدل» لأول مرة في القرن الرابع عشـــر، ويعود إنشاء سلطنة عدل من قِبَل سكان هضبة هرر، وتأسّســـت على يد صابر الدّين الثاني بعد ســـقوط سلطنة إيفات في عام (٨٠٥هـ/١٤٠٢م)، وتوسعت في عهد السلطان عمر بن محمد[٢]، وازدهرت من حوالي (١٤١٥م إلى ١٥٧٧م).

توســـع محيط ســـلطنة عدل فشـــمل المنطقة الجغرافية بيـــن باب المندب وكيـــب غواردافوي[٣]، وهكذا كانت محاذيةً لســـلطنة مقديشو من الجنوب، وللإمبراطورية الحبشـــية من الغرب، وسيطرت على معظـــم الأراضي في منطقة القرن الإفريقي شـــرق الحبشة، وحافظت على علاقة تجارية وسياسية قوية مع الإمبراطورية العثمانية[٤].

وكان لســـلطنة عدل علاقات حيث شـــاركت في التجـــارة مع غيرها من الهيئات في شـــمال شـــرق إفريقيا، والشـــرق الأدنـــى، وأوروبا وجنوب آســـيا، وازدهرت العديد مـــن المدن التاريخيـــة في القرن الإفريقي، مثل مادونا وأباســـا وبربرة، تحت حكمها، وتميزت بالمنازل والمساجد ذات الساحات الواسعة والمزارات والمعابر المســـورة، والصهاريج، فوصلت عدل ذروتها في القرن الرابع عشر.

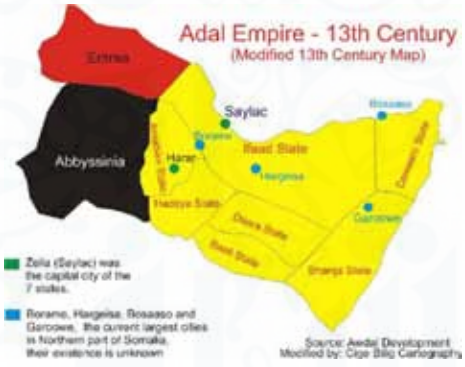

خريطة «سلطنة عدل»

دخل الإســـلام إلى منطقة القـــرن الإفريقي في وقتٍ مبكّر، بعد فترةٍ وجيزة من الهجرة، ويعود تاريخ مســـجد «القبلتين» في مدينة زيلـــع إلى زهاء القرن السابع الميلادي، وهو أقدم مسجد في المدينة. وفي أواخر القرن التاسع كان المسلمون يعيشون على طول الساحل الصومالي الشـــمالي، وقد ذُكر أنّ عاصمة مملكة عدل كانت في تلك المدينة[٥].

وحكمت المملكةَ ســـلالاتٌ من الشـــعوب المحلية التي أنشأها عدليون، وكان النظام السياسي آنذاك في سلطنة إيفات محكومة من قبل أسرة الولاشما العربية.

فـــي عـــام ١٣٣٢م؛ قُتـــل ملك عدل فـــي حملة عســـكرية تهدف إلى وقف مسيرة «أمدا سيون» نحو زيلع. وعندما قتل آخر ســـلطان إيفات، ســـعد الدّين الثاني، من قِبَل دويت الأول من إثيوبيا في مدينة زيلع الســـاحلية في عام ١٤١٠م، أنشأ صابر الدّين الثاني،

(١) Somalia: From The Dawn of Civilisation to The ModernTimes: Ch. 8: Somali Hero – Ahmad (1506-1543) Gurey.

(٢) موقع التاريخ الإسلامي: القائد الإسلامي أحمد بن إبراهيم الغازي، مرجع سابق.

(٣) Delrik، Haggai (2007). "The Cambridge History of Africa: From c. 1050 to c. 1600". Basic Reference. USA: Lynne Rienner. 28: 36. doi:10.1017/S0020743800063145. Retrieved 27-04-2012.

(٤) Africanus، Leo (1526). The History and Description of Africa. Hakluyt Society. pp. 51–54.

(٥) Briggs، Phillip (2012). Somaliland. Bradt Travel Guides، p.7.

الابن الأكبر لسعد الدّين الثاني، إدارة عدل جديدة بعد عودته من اليمن في عام ١٤١٥م، وخلال هذه الفترة، ظهرت عدل كمركز للمقاومة الإسلامية ضدّ المملكة المسيحية الحبشية المتوسعة[١].

وواصلت جيوش عدل الكفاح ضدّ التوسع تحت قيادة حكّام مثل: صابر الدّين الثاني، منصور الدّين، جمال الدّين الثاني، شمس الدّين، والجنرال محفوظ الذي تسبّب في وفاة الإمبراطور ناعود في عام ١٥٠٨م، لكنه قُتل بدَوْره من قِبَل قوات الإمبراطور داويت الثاني (لِبْنا دِنْجل) في ١٥١٧م، وبعد وفاة محفوظ بدأت الحرب الأهلية في سلطنة عدل، وتعاقب خمسة أمراء على السلطة خلال عامَيْن فقط، ولكن في النهاية تولى زعيمٌ ناضجٌ وقوي يُدعى جراد أبون بن آدش السلطة، ولكنه قُتل من قِبَل السلطان أبو بكر بن محمد، وثارت البلاد كلّها ضد السلطان أبو بكر؛ لأنّ جراد أبون كان محبوباً من قِبَل الشعب، وقد انضم عددٌ كبير من الشعب إلى قوة إمام شاب يُدعى أحمد بن إبراهيم الغازي[٢].

وبعد توتر وفترات من القتال والصلح بين السلطان أبي بكر محمد والإمام أحمد الغازي، استفحل ظلم السلطان، فاضطر الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي إلى كفّ شره وظلمه فقتله، واستبدل به شقيقه (شقيق السلطان) عمر دين، وتولى السلطة في عدل في ١٥٢٧م، وبعد أن تزوج من ابنة سلفه الأمير محفوظ، انفرد بقيادة هذه الإمارة، سياسيّاً وعسكريّاً، واتخذ لنفسه لقب إمام، واشتهر به دون غيره من الألقاب[٣].

وقد استكمل الإمام أحمد جري جهوده في هذا المضمار، وقام بإقناع زعماء الإمارات والقوى الإسلامية في شرق إفريقيا بالتحالف وتوحيد الجهود، ومن ثمّ توجيه قواتهم معاً إلى عدوّهم المشترك، وبقطع العلاقات مع المملكة الحبشية وعزلها سياسيّاً، وخصوصاً أنّ بعض أولئك الزعماء كان يداهن ملوك الأحباش ويدفع الإتاوة لهم. وقام أحمد جري كذلك بالاتصال بالعثمانيّين، وأطلعهم على حقيقة ما يجري في القرن الإفريقي[٤].

وبحلول عام ١٥٤٠م؛ أصبح الجزء الجنوبي والأوسط من إثيوبيا بكامله، مع عدد من مناطق الشمال، تحت سيادة سلطنة عدل، والتي توسعت وشملت كلّ ما عرف بـ«إمارات الطراز الإسلامي»، ومنها: إمارة عدل (أودل) وإمارة أوفات (إيفات)، ومعظم أقاليم الحبشة النصرانية، وصارت معلمًا بارزاً لمجد الإسلام في هذه الديار[٥].

وأنشأ الإمام أحمد الغازي تحالفات خارجية قوية، واعترفت به القوى الإسلامية في كلٍّ من مصر ومكّة المكرمة والدولة العثمانية، وقاموا بدعمه سياسيّاً وعسكريّاً بالسلاح الحديث والعتاد من البنادق والمدافع والجنود. وقد أمدّه شريف مكّة بكتيبة عسكرية من المقاتلين العرب، فتكوّن لدى الإمام أحمد الغازي جيشٌ قويٌّ ذو تسليح حديث، كلّ ذلك للحفاظ على أمن وسلامة واستقرار سلطنة عدل من الداخل والخارج، وتوحيد راية المسلمين في القرن الإفريقي[٦].

وأمسى الإمام أحمد الغازي في أتمّ الاستعداد للدفاع عن الإسلام، وإعلان الجهاد المقدس ضدّ العدو التاريخي، وهم الأحباش، ولفتح البلاد الجديدة، والردّ على مَن تسوّل له نفسه المساس بأمن دولة عدل الإسلامية.

---

(١) Briggs، Philip (2012). Bradt Somaliland: With Addis Ababa & Eastern Ethiopia. Bradt Travel Guides. p.10.

(٢) Richard Stephen Whiteway- 1902-، The -Portuguese Expedition to Abyssinia in 1541 p.52. Narrated by Castanhoso. Hakluyt، 1543 Society.

(٣) Ahmad Graign- revolvy.com.

(٤) أحمد الظرافي، مرجع سابق، ص٤.

(٥) محمد ربيع: صلاح الدّين الصومالي، صومال تايمز ١١ مايو ٢٠١٧م، الرابط: http:www.somalitimes.net.

(٦) ethiopiana.net/?p=500.

سلاطين عدل[١]:

Name اسم السلطان	Reign مدة الملك
Sultān صابر الدين الثاني سعد الدّين	١٤١٥-١٤٢٢
Sultān منصور سعد الدّين	١٤٢٢-١٤٢٤
Sultān جمال الدّين سعد الدّين	١٤٢٤-١٤٣٣
Sultān أحمد الدّين "بدلاي" بن سعد الدّين	١٤٣٣-١٤٤٥
محمد أحمد الدّين	١٤٤٥-١٤٧٢
Sultān شمس الدّين بن محمد	١٤٧٢-١٤٨٨
Sultān محمد عشرة الدين	١٤٨٨-١٥١٨
محمد أبوبكر محفوظ	١٥١٨-١٥١٩
Sultān أبوبكر بن محمد	١٥١٨-١٥٢٦
Garād Abūn tAdādshe جراد أبون آدش	١٥١٩-١٥٢٥
عمر دين محمد	١٥٢٦-١٥٥٣
علي بن عمر دين	١٥٥٣-١٥٥٥
بركات بن عمر دين Sultān	١٥٥٣-١٥٥٩-١٥٥٥
محمد جاسا	١٥٥٩-١٥٧٧

جهاده وفتح الحبشة:

بدأ المجاهد الشـاب والمناضل الدؤوب فاتح الحبشة الإمـام أحمد بن إبراهيم الغازي حياته الجهادية في سـنّ مبكر، وهو لم يتجاوز الثانية عشـرة من عمره، وعُرف عنه جهاده الطويل في سبيل نصرة الإسلام وأهله.

وقد نشـأ في مجتمعه في دولة «عدل»- كما سـبقت الإشارة إليه- التي كانت تموج بالصراعات على السلطة بين «الطبقة الأرسـتقراطية» الإسـلامية التقليدية، التي تدعو إلى دعم السـلام مع الحبشـة (إثيوبيا) ولو بتأدية الجزية، لضمان مصالحها الاقتصادية، وبين «الفئة العسـكرية» من الصوماليّين المسلمين، التي كانت تسعى للتخلّص من التبعية الحبشية عن طريق الجهاد، والتوسع في أرض الحبشة[٢].

التحالف الصليبي (الحبشة- البرتغال) ضد المسلمين:

في تلك الفترة اشـتدت سـواعد الأحباش النصارى، وتغيّـر ميزان القوى العسـكري لصالحهـم، خصوصاً بعد حصولهم على الأسلحة النارية من حلفائهم البرتغاليّين، وهي الأسـلحة التي لم تكن معروفةً وقتئذ فـي القرن الإفريقي، فشنّ الطرفان الحبشي والبرتغالي حملةً صليبية منسقة ضدّ المسلمين في تلك المنطقة: الأحباش من البرّ، والبرتغاليون من البحر، وتمكّنت قوات النجاشـي الحبشي داؤود الثالث، في عام ١٥١٦م، من إلحاق هزيمة ساحقة بالقوات الصومالية والعفارية، التابعة لإمارة عـدل، التي يقع أهمّ مراكزها على ساحل خليج عدن، بما فيها العاصمة «زيلع»[٣].

وبينما كان الأحبـاش النصارى يحرقون المدن والقرى الإسـلامية؛ كانت الأسـاطيل البرتغاليـة تقصف المدن الساحلية، لسلطنة عدل، ولسـائر مرافئ الصومال وشرق إفريقيا، واليمن، ففي منتصف عام ١٥١٧م تمّ قصف مدينة زيلع التاريخية (عاصمة إمارة عدل) وإحراقها، ونهبها، بعد الاستيلاء على قلعتها، وفي عام ١٥١٨م تعرضت مدينة بربرة لعملية اجتياح وحشـي، وفي عـام ١٥٢٠م تعرضت مدينة مصوع لاجتياح وحشي مماثل، وفيه أيضاً احتلّ البرتغاليون مقديشو، أحد المراكز التجارية المهمة على ساحل المحيط الهندي، وقام القراصنـة البرتغاليون المتمركزون في خليج عدن بالسـطو على كلّ السـفن التجارية الإسـلامية التي صادف وجودها في تلك المنطقة، واسـتولوا على ما كانت تحملـه من مواد غذائية ومقتنيات ثمينة، وفي العام نفسـه أيضاً (١٥٢٠م) اضطر سـلطان عدل، أبـو بكر بن محمد، إلى نقل عاصمته من زيلع إلى هرر، في غرب الصومال[٤].

---

(١) المصدر: سلطنة عدل، موقع المعرفة، الرابط: https://www.marefa.org/

(٢) Somalia: From The Dawn of Civilisation to The ModernTimes: (1506-1543-Ch. 8: Somali Hero – Ahmad Gurey).

(٣) أحمد الظرافي، مرجع سابق، ص٣.

(٤) islamstory.info/2016/zanta.html.

مواجهة الإمام أحمد للمدّ الصليبي:

في القرن السادس عشر؛ رفع الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي راية الجهاد ضدّ الصليبية الحبشية، وكان حينذاك في قمّة الشباب والحيوية والحماس، وجعل من دولة عدل على قائمة الدول الإسلامية الكبرى، وأصبحت لها دور كبير في الدفاع عن المسلمين، فكان على رأس الشراكة في التحالف الإسلامي الكبير الذي انتصر على التحالف الصليبي المكوّن من البرتغاليّين وأباطرة الحبشة، حيث غزا الحبشة، وهزم الكثير من الأباطرة الإثيوبيّين، وألحق الكثير من التنكيل والهزائم بتلك المملكة، واستطاع أن يجمع ثلاثة أرباع إثيوبيا تحت سلطنة المسلمين خلال الفترة بين (١٥٢٩م-١٥٤٣م)، ويتمكن من إخضاعها تحت سيطرة عدل الإسلامية[١].

فبعد أن استكمل الإمام أحمد جري، التجهيز والإعداد اللازم، على مدى عدة سنوات، لم يلبث أن بدأ مرحلةً جديدة من الجهاد ضدً الأحباش النصارى؛ فاندلعت في هذه المنطقة بدءًا من عام ١٥٢٦م حرب طاحنة، لم يسبق لها مثيل من حيث عنفها وقسوتها وشراستها، ونجح المجاهدون الصوماليون والعفاريون والعرب، بقيادة الإمام أحمد جري، من كسر شوكة الأحباش، وطردهم من المناطق الساحلية، وحرموهم من أي مرفأ على سواحل البحر الأحمر، ومن ثمّ عزلهم في الهضبة الحبشية، واستمروا في تطويقهم، وتضييق الخناق عليهم، وتلقينهم الهزيمة تلو الهزيمة، بعد أن نقلوا ميدان الحرب إلى عقر دارهم[٢].

كانت معركة «أديس» في عام ١٥٢٧م أول معركة كبيرة ذات شأن اشترك الإمام أحمد جري فيها قائداً، والتي انتقم فيها لمقتل الأمير محفوظ والد زوجته عام ١٥١٦م على يد النصارى الأحباش، فالتف حوله بنو جلدته من الصوماليّين لما أظهر من شجاعة وحنكة عسكرية، وكان همّه الإصلاح والجهاد وخدمة الإسلام[٣].

وتحالف الإمام أحمد الغازي مع الأتراك العثمانيّين في عام ١٥٢٨م، حيث كانت السلطنات الإسلامية في ذلك الوقت تتمتع بقوة الإيمان الجهادي ضدّ مملكة الحبشة في شرق إفريقيا، فقام الأتراك بوضع الجيوش على شواطئ البحر الأحمر، وزودوا هذه السلطنات بالأسلحة النارية الجديدة، وأعلنت الدولة العثمانية نفسها وصيةً على كلّ البلاد الإسلامية والمسلمين في العالم، فبدأت هذه البلاد تشعر بأنّ القوى الإسلامية العظمى تشاطرهم في تكوينهم الدّيني والثقافي، فرأوا ضرورة التحالف معها، وأعلن الإمام أحمد جري ولاءه للباب العالي (سليمان القانوني عاشر الخلفاء العثمانيّين ١٥٢٠م-١٥٦٦م)، كما أبدى نيته ورغبته في غزو الحبشة؛ لأنها تشكّل التهديد المباشر لانطلاق المسيحية للهجوم على مكّة المكرمة، فأيده العثمانيون، وأثنوا عليه لتوحيده راية الإسلام في القرن الإفريقي، فدعموه في جهاده الذي أوشك أن يُخضع الحبشة تحت سيطرة الدولة الإسلامية[٤]، واستعمل الفنون العسكرية التي اكتسبها من حلفائه العثمانيّين في تدريب جنوده.

غزو الحبشة.. الأسباب والمراحل:

على الرغم من وجود فتن قيادية في الإمارات الإسلامية واضطرابات داخلية سلطوية إلا أنّ الدافع القوي لأحمد بن إبراهيم الغازي لغزو الأحباش كان سببَيْن رئيسَيْن، هما:

التحرر من التبعية النصرانية والتسلط الحبشي على سلطنة عدل الإسلامية، والسيطرة على اقتصاد البلد.

كان ردّاً على الهجوم الأولي الذي قاده الأحباش ضدّ السلطنة الإسلامية بقيادة الجنرال الإثيوبي ديغالهان تحت حكم الإمبراطور الإثيوبي لِبْنا دِنْغل في عام ١٥٢٨م؛ رغبةً في احتلال الأراضي الإسلامية[٥].

ولهذين السببَيْن الرئيسَيْن وغيرهما؛ دعَا الإمام أحمد الغازي إلى الجهاد- كسابقه من السلاطين المسلمين- ضدّ الإثيوبيين.

وقد أدّت انتصاراته في الحبشة إلى التدّخل الأوروبي المبكر في إفريقيا؛ عندما طلب الإمبراطور الإثيوبي من

---

(١) أحمد الظرافي، مرجع سابق.

(٢) somalitimes.net.

(٣) ethiopiana.net/?p=500))، و(إمبراطوريات الريح الموسمية: ريتشارد هول).

(٤) raqeb.co/countries/Somali-republic.

(٥) Newworldencyclopedia.org.

البرتغاليّين المساعدة في ردّ الجيش الإسلامي[١].

ويمكن القول بأنّ جهاد الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي مرّ بمرحلتَيْن:

المرحلة الأولى: انتصارات الإمام أحمد الغازي، وامتدت خمسة عشر عاماً (١٥٢٧م–١٥٤١م):

قام الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي في ٢١ أكتوبر ١٥٣١م بحملة ضدّ أعدائه الأحباش في معركة «أمبا سيل» فحطم الإمبراطور لِبْنا دِنْجل، ثم دخل إقليم تجري وهزم الجيش المرابط، والذي كان قد اعترضه هناك، ودمّر كنيسة السيدة مريم العذراء، التي كان يُتوج فيها الأباطرة الإثيوبيون. وانتهت هذه المرحلة بهزيمة النجاشي لِبْنا دِنْجل وقتله، في معركة مهمّة في شمبرا كوره Shembra Kuré عام ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م، وسيطرة الإمام أحمد على ثلثي أرض الحبشة.

فاضطر الإثيوبيون إلى طلب النجدة من البرتغاليّين، الذين استجابوا لأنهم- إلى جانب العامل الديني- كانوا حريصين على تثبيت أقدامهم في موانئ البحر الأحمر، بعد كشفهم لطريق الهند، فوصلت القوة البرتغالية في ١ فبراير ١٥٤١م بقيادة كريستوفا دا غاما، وكانت مزودة بالمدفعية والبنادق[٢].

التقى الجيشان في ١ أبريل ١٥٤٢م، في معركة أناصي، فتبادلا الهجوم، وجُرح الإمام أحمد الغازي، إلا أنه واصل جهاده بعد وصول التعزيزات الجديدة له من الأتراك والعرب، وكان قوامها ٢٠٠٠ من الفرسان، فتراجع الأحباش وهزموا، وقُتل منهم أعدادٌ كثيرة، وأُبيد جزءٌ ضخم من البرتغاليّين، وانتهت هذه المرحلة من الجهاد بالقبض على كريستوفا دا غاما (ابن الملاح البرتغالي الشهير فاسكو دا غاما) الذي رفض قبول الإسلام، فتم إعدامه فوراً.

المرحلة الثانية: بدأت بتدخّل البرتغال بقوة لدعم ملك الحبشة:

على الرغم من ذلك: تولّى عرش الحبشة ملك صغير اسمه كلاوديوس، ومعه بقايا الجنود البرتغاليّين الذين تمكّنوا من تجنيد أنفسهم من جديد، وقاموا بتعبئة أعدادٍ كبيرة من الإثيوبيّين، وطلبوا النجدة والإمدادات من البرتغال، فهجموا على المسلمين في المعركة الفاصلة والقصيرة في منطقة «واينا داجا» (معركة زنطرة).

معركة زنطرة ومقتل الإمام أحمد الغازي:

قبل تلك المعركة الفاصلة، وبعد انتصار المسلمين بقيادة الإمام أحمد الغازي عام ١٥٤٢م، أُعيدت القوة العثمانية إلى مراكزها باليمن، وهو الخبر الذي وصل إلى التحالف الحبشي–البرتغالي، فتفاجأ المسلمون بعودة النصارى إلى الحرب، ودارت بين الفريقَيْن المناوشات، حتى وقعت المعركة الفاصلة، في منطقة «واينا داجا» بالقرب من بحيرة تانا، والتي انتهت بهزيمة المسلمين، واستشهاد الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي في مكانٍ يُقال له «زنطرا»، بطلقة رصاصة، في ٢١ فبراير ١٥٤٣م الموافق ١٧ من ذي القعدة ٩٤٩هـ، رحمه الله رحمة واسعة[٣].

واستعاد كلاوديوس السيطرة على مملكته في عام ١٥٤٣م، ومن ثمّ فقدت سلطنة عدل معظم أراضيها في أراضي الحبشة.

وفي عام ١٥٥٠م رفع راية الجهاد- مرةً أخرى- من بعده الأمير نور الدّين ابن عمّه الشقيق، وتواصلت الحرب بينه وبين الأحباش حتى عام ١٥٥٩م، فهزمهم وتمكّن من قتل ملك الحبشة كلاوديوس.

وخلال حكم محمد جاسا، في عام ١٥٧٧م، انتهت سلطنة عدل بسبب الاقتتال الداخلي مع قبائل عفار[٤].

---

(١) Abir، Mordechai. Ethiopia and the Red Sea. Routledge. p. 139. Retrieved 21 January 2016.

(٢) أحمد بن ابراهيم الغازي، موقع المعرفة. https://www.marefa.org

(٣) موقع التاريخ الإسلامي، القائد الإسلامي أحمد بن إبراهيم الغازي- معركة زنطرا Zantra، مرجع سابق.

(٤) Ethiopian News and opinion http://www.ethiopianreview.com

إصلاحات الإمام أحمد الغازي وتأثيره:

يعتبر الصوماليون الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي بطلاً وطنيّاً من أبطال الصومال, ولكنّ الإثيوبيّين يعتبرونه قاهراً شرساً غير مرحّب به، ولا شك بأنه كان قائداً عسكريّاً قويّاً.

أصبح الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي القائد الأعلى للسلطنات الإسلامية أميراً لها ومنقذاً ومرشداً وقاضياً شرعيّاً وسياسيّاً وعسكريّاً، فقام بالإصلاحات فيها، وقضى على جيوب الفتنة والتمرد في بعض صفوف المجاهدين، وقضى على الشقاق، وأسكن الاضطرابات التي كانت قد أضعفت وحدة المجاهدين, فقام بحملة لتوحيد القبائل، وتمكّن هذا القائد الفذّ من القضاء على كلّ الاضطرابات التي حدثت في إمارة عدل، وأدّب الخارجين عن القانون وقطّاع الطرق، وقبض على زمام الأمور كلّها بحزم وجدية.

وكان من أعظم إنجازاته توحيد البدو من مالكي الأراضي الرخيصة، فاستقروا في المرتفعات، وجلب العشائر والقبائل المختلفة، وحشدهم لنصرة الإسلام، واستطاع تنظيم وتوحيد الصفوف والإمارات الإسلامية والاتصال ببقية القوى الإسلامية في المنطقة، وإقناعهم بقطع العلاقات مع المملكة الحبشية ورفض دفع الجزية، واستمرت لمدة خمسة عشر عاماً بقيادة الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي، وأصبح لهذه السلطنات كيانٌ سياسيٌّ واحد يجمعهم تحت قيادة واحدة، بالإضافة إلى إنهاء اقتتالهم فيما بينهم وتآمرهم وكيدهم بعضهم ضدّ البعض.

واتّبع الإمام أحمد الغازي سياسةً موفقة، جمّعت النّاس من حوله، ووحّدت القبائل، وجعلتها على كلمةٍ واحدة، وأقام شعائر الدّين الإسلامي الحنيف، وقام بنشر العدل بين الرعية، وعمل على توفير الحياة الكريمة لهم، وقام بتوزيع الزكاة على مستحقيها، واهتمّ بجنوده اهتمامًا كبيراً، وعدَلَ في قسمة الغنائم فيما بينهم، وأوقف كتب العلم على العلماء والمساجد، وكسب بذلك حبّ الفقهاء والعلماء والمشايخ، كما كسب أيضاً محبّة الرعية، بالإضافة إلى محبّة الجنود[1].

ونجح الإمام أحمد الغازي في إنهاء التهديد الحبشي على الشعوب الإسلامية، حيث امتدت فتوحاته حتى وصل إلى البحيرات

اتبع الإمام أحمد الغازي سياسة موفقة، جمّعت النّاس من حوله، ووحّدت القبائل، وجعلتها على كلمةٍ واحدة، وأقام شعائر الدّين الإسلامي الحنيف

العظمى (التي تضم بحيرات: فكتوريا وتنجانيقا ونياسا وتوركانا وألبرت وكيفو)، وتشمل المنطقة حاليّاً دول: (بوروندي ورواندا وأوغندا والكونغو الديمقراطية وتنزانيا)، وهي أغنى مناطق إفريقيا بالماء، فهي خزان ماء ضخم، وهي منبع نهر النيل، (والمنطقة غنية باليورانيوم والكوبالت والنحاس والألماس والذهب)[2].

وتشير التقديرات إلى أنّ ٩٠٪ من أراضي الإمبراطورية الإثيوبية استولى عليها الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي، وخاصّةً الأقاليم الأربعة الكبرى، وهي: شيوا وأمهرا وفتجير وبيل، ومعظم هذه القبائل اختارت الإسلام ديناً لها، ولولا تحالف البرتغاليّين مع الأحباش لكانت جميع منطقة شرق إفريقيا تحت الحكم الإسلامي[3].

وأدّت الأقاليم الشرقية والوسطى- فيما يُعرف حاليّاً بإثيوبيا- دَوْراً بارزاً في نشر الإسلام داخل إفريقيا الشرقية على أيدي دعاة محليّين وعرب، وفدوا من القاهرة بعد تخرّجهم في الأزهر الشريف، وأسلم الكثيرون من قبائل البدو الرحّل، من العفر والصومال، وشكّل إسلامهم قوةً جديدة للإسلام في هذه الديار، وأُنشئت الكثير من المساجد والكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، وباختصار: شهدت هذه البلاد، إذ ذاك، صحوةً إسلامية لا مثيلَ لها في عهد الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي - رحمه الله- ■

(١) المصدر السابق، ص١٠.

(٢) المصدر السابق، ص٩.

(٣) Adal Sultanate-Janakesho، https://janakesho1. .adal-Sultanate/2016/1/worldpress.com 23